الأهرام

المصدر : أخبـــــار

التاريخ : ٢٤ فبرايـــــر ٢٠٠٠

حلم البابا.. وكابوس الحاخام !

لماذا طار صواب إسرائيل من اتفاق بابا الفاتيكان وعرفات حول القدس؟

محمد صفر

منذ عـام ١٩٨٢ زار الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات مدينة الفاتيكان تسع مرات.. لكن زيارته الأخيرة لها فى منتصف الشهر الحالى كان لها من الدلالة والأهمية ربما ما يفوق كثيراً من الزيارات السابقة. فى تلك الزيارة وقعت منظمة التحرير الفلسطينية والفاتيكان فى حضور عرفات والبابا يوحنا بولس الثانى اتفاقا وصف بأنه «تاريخى».

الاتفـاق يسـتـحق هذا الوصف.. لأنه يتضمن تعهد الطرفين برفض أى اجراء احادى الجانب يؤثر على مستقبل القدس كما يتضمن الدعوة الى «حل عادل» لقضية القدس تأسيسا علي قرارات الشرعية الدولية و«وضع خاص بضمانات دولية» للمدينة التى «يجب الحفاظ على هويتها الخاصة وطابعها المقدس».. الى جانب التشديد فى نص الاتفاق على «حرية الدين والمعتقد»، وعلى «المساواة بين اديان التوحيد الثلاثة» و«حرية الوصول الى الأماكن المقدسة».

الأهمية «التاريخية» أو الاستثنائية لهذا الاتفاق تنبع من توقيت اعلانه ومضمونه.

من ناحية التوقيت.. جاء الاتفاق فى وقت تعـانى فـيـه المفـاوضـات الفلسطينية – الاسرائيلية أزمة حادة تهدد عملية السلام برمتها.. كالعادة بسبب تعنت اسرائيل تجاه كل القضايا المطروحة على مائدة التفاوض ومنها قضايا الوضع النهائى التى تتصدرها قضية القدس.

لذلك.. ينطوى الاتفاق من حيث التوقيت على دعم معنوى جوهرى لموقف المفاوض الفلسطينى، ليس فقط فى مواجهة الصلف الاسرائيلى..وانما أيضا فى مواجهة «ميوعة» ان لم يكن انحيازا مستترا إلى هذا الصلف فى المفاوضات من جانب من يعتبرون أنفسهم «رعاة» لعملية السلام. وفى لقائهما الودى يوم ١٥ فبراير تطرق بابا الفاتيكان وعرفات الى الجمود الراهن فى عملية السلام، واعربا عن قلقهما فى هذا الخصوص.. وهى اشارة لا تخلو من مغزى واضح الى مسئولية اسرائيل حيال تجميد المفاوضات ووضع العراقيل امامها باستمرار، ولا تقل فى مغزاها عن تلك الاشارة التى صدرت عن البابا حين قدم عرفات اليه خلال اللقاء رسما مجسما للنجمة على مغارة بيت لحم فقال الحبر الأعظم ان «الرعاة الذين تتبعوا النجمة للوصول الى المسيح كانوا فلسطينيين... فليبارك الله الشعب الفلسطينى». كذلك من ناحية التوقيت.. الاتفاق يسبق أو بالاحرى يمهد لرحلة الحج التى يعتزم البابا القيام بها الى الاراضى المقدسة فى فلسطين والاردن بمناسبة بدء الالفية الثالثة للميلاد، اقتفاء لخطى انبياء الله ابراهيم وموسى وعيسى «عليهم السلام» فى الكتاب المقدس.. وهى اول رحلة حج يقوم بها بابا للفاتيكان منذ ٣٦ عاما أى قبل احتلال القدس وسائر الاراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

وكأن البابا يوحنا بولس الثانى الذى وصف حجته المزمعة بأنها حلم حياته أراد ان يحصن رحلته الى اماكن مقدسة تهفو اليها نفسه ضد أى محاولة انتهازية من اسرائيل لاستغلالها فى اضفاء شرعية مفقودة على احتلالها للقدس.

أما من ناحية المضمون فان الاتفاق صيغة قانونية تضفى طابعا رسميا على وجود الكنيسة الكاثوليكية فى الاراضى الفلسطينية وتنظم العلاقة بين السلطة الفلسطينية والكنائس الكاثوليكية فى مناطقها.. لانه حتى فى ظل العلاقات الدبلوماسية القائمة بين الفاتيكان ومنظمة التحرير الفلسطينية منذ عام ١٩٩٤ لم يكن هناك «بروتوكول» ينظم علاقات الطرفين على أرض الواقع.

لكن فى مضمون الاتفاق الذى يعتبر ثمرة عامين من المحادثات والمداولات بين الطرفين ما هو اكثر فى دلالته السياسية.

فهو بمثابة رد على اتفاق تم توقيعه بين الفاتيكان واسرائيل عام ١٩٩٧ واثار حفيظة العرب والمسلمين بما انطوى عليه من تأييد ضمنى للسيطرة الاسرائيلية على القدس المحتلة من خلال اشارة وردت فيه الى «املاك الكنيسة الكاثوليكية فى مناطق خاضعة للتشريعات الاسرائيلية» أى مناطق فلسطينية – منها القدس الشرقية – توجد فيها كنيسة القيامة ومقدسات مسيحية أخرى.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

تصحيح للوضع

بهذا المعنى احدث اتفاق عرفات – البابا تعديلا او تصحيحا للوضع الذى خلقه اتفاق اسرائيل – الفاتيكان وقدم دليلا قانونيا على موقف متوازن للفاتيكان تجاه قضية من اخطر قضايا الصراع العربى – الاسرائيلى.

فقد كان من الملاحظ فى السنوات القليلة الماضية ان مجمل موقف الفاتيكان ازاء هذا الصراع تعتريه اتجاهات «براجماتية» مختلفة عن تلك التى حكمت رؤيته للصراع منذ رفض اعترافه باسرائيل يوم اعلان قيامها فى ١٩٤٨ وحتى اعترافه بها عام ١٩٩٤ عقب توقيع اتفاقات اوسلو.

بعد اوسلو تعهد الفاتيكان فى اتفاق الاعتراف باسرائيل بأن يبقى بمنأى عن جوانب النزاع بين العرب والاسرائيليين. وكان هذا الاتفاق انعكاسا لمتغيرات دولية منها:

أولا: انفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم عقب انهيار الاتحاد السوفيتى والدور الذى لعبه الفاتيكان بالتعاون معها لتخليص دول اوروبا الشرقية ولاسيما بولندا من النظم الشيوعية.

ثانيا: تصاعد الضغوط على الفاتيكان من الكنائس الامريكية والكثير منها كنائس متصهينة موغلة فى العداء للعرب والمسلمين من اجل انشاء علاقات قوية مع اسرائيل. بل وتبنى ادعاءاتها فيما يتعلق بما يسمى الحق التاريخى لليهود فى كل فلسطين.

ثالثا: حرب الخليج عام ١٩٩١ وما ادت اليه من انهيار التضامن العربى رفع عن الفاتيكان الحرج السياسى بحيث لم يعد فى حسبانه حدوث انعكاسات سلبية محتملة على علاقاته العربية من ناحية وعلى اوضاع المسيحيين العرب من ناحية اخرى عندما يعترف باسرائيل ويعيد تشكيل موقفه السياسى منها بعيدا عن معتقداته الدينية.

رابعا: انعقاد مؤتمر مدريد للسلام وتوقيع اتفاقات اوسلو واستمرار المفاوضات على المسار الفلسطينى – الاسرائيلى حتى وان بقيت متعثرة.

وهكذا راحت العلاقات بين الفاتيكان واسرائيل تمضى فى طريق بعيد عن شروط الفاتيكان السابقة.. لدرجة ان بعض البطاركة الفلسطينيين مثل ميشيل صباح ولطفى لحام وسمير قفعيتى بعثوا برسالة الى البابا حول مخاطر العلاقات بينهما على وضع القدس.

ثم جاء اتفاق الخامس عشر من فبراير بين عرفات والبابا ليعيد الى موقف الفاتيكان التوازن الذى يخدم السلام العادل فى الشرق الاوسط حيث كان الفاتيكان قبل التسعينات مؤيدا على الدوام لحقوق الشعب الفلسطينى الثابتة غيرالقابلة للتصرف ومنها حقه فى اقامة دولته المستقلة على ترابه الوطنى.. وكان يرفض السيطرة الاسرائيلية على القدس فى اطار رؤيته لحل يقوم على «تدويل» المدينة.

ولولا هذا المضمون فى اتفاق عرفات – البابا لما شعرت اسرائيل بما اسمته «صدمة» بعد اعلان الاتفاق.. ولما فقد بعض المسئولين الاسرائيليين صوابهم وهم يشجبون» الاتفاق.. حتى ان وزير الخارجية ديفيد ليفى قال فى تصريحات للتليفزيون الاسرائيلى انه «فى مواجهة البابا.. سنظل حازمين بشأن مسألة القدس التى ستبقى عاصمة لاسرائيل».

وفضلا عن استدعاء الخارجية الاسرائيلية للقاصد الرسولى فى القدس المونسنيور بيترو سامبى للاحتجاج على الاتفاق.. اصدرت الوزارة بيانا خرج عن مألوف الاعراف الدبلوماسية حين وصف موقف الفاتيكان القانونى الوارد فى الاتفاق مع عرفات بأنه «تدخل مرفوض» فى المفاوضات مع الفلسطينيين «لايمكنه تغيير» واقع السيطرة الاسرائيلية على القدس.

وفى المعتاد لا يخرج المسئولون الاسرائيليون عن طورهم الا اذا تلقت اطماعهم ومزاعمهم صفعة عنيفة.

وهذه المرة جاءتهم الصفعة من يد تكافح الظلم وتعمل على نشر المحبة والسلام فى ربوع العالم.. فاذا بحلم بابا الفاتيكان فى زيارة الاراضى المقدسة يتحول الى «كابوس» لساسة وحاخامات اسرائيل الذين يغذون التعصب الدينى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية